صورة الطفولة في الحكاية الشعبية" بقرة اليتامى"أنموذجا

العلجة حرايز

الجامعة :جامعة المسيلة

يتمحور هذا البحث حول رصد واستقصاء صورة الطفل داخل المتن الحكائي الشعبي واستنطاق الملامح واستجلاء المؤثرات **المختلفة ايجابيا أو سلبيا على هذه الشخصية في الحكاية الشعبية باعتبارها وسيلة للمعرفة والدرس والتثقيف حيث أن الأطفال ينجذبون كثيرا إلى الحكايات الخرافية تحديدا لبساطتها وغرائبيتها وأحداثها الزاخرة بالبطولات الخارقة والعجائب وأساليب التشويق المختلفة التي يبتدعها الرواة ،*وقد اعتمدت(بقرة اليتامى) أنموذجا حكائيا معروفا وسأحاول تقصي* طبيعة التناول الفني لشخصية الطفل في هذه الحكاية البسيطة، والتي تكمن قيمتها من خلال وضع الطفل في المكانة المناسبة له، والتعمق في شخصية الطفل، ورصد المؤثرات التي من شأنها تقريب المسافة بين هذا الكائن والعالم المحيط به فلقد استطاعت هذه الحكاية أن تثير قضايا عديدة من خلال سلوكيات الطفل بعد أن يحرم من مصدر قوته ألا وهو الوالدين فعبرت عن واقعهما الاجتماعي والاقتصادي وبث من خلالها قيما أخلاقية عالية وحملت الواقع الاجتماعي للطفل المحروم من والديه فلم تكتفي الحكاية هذه بنقل أحاسيس الطفل والانفعالات النفسية،بل تجاوزت ذلك لتعبر عن الواقع الاجتماعي للإنسان عن طريق شخصيات أخري خيالية تخدم الطفل تمثلت في إبداعاتها الخيالية لذلك سوف أحاول أن أدعم البحث بالتطبيق على هذه المدونة الشعبية باعتبارها علامة دالة تختزل عالما من الدلالات التي تنفجر فعالة بقراءة جريئة لها .

Cette recherche est centrée autour de la surveillance est l'interrogation de l'image de l'enfant dans le contexte du récit populaire et clarifier les différentes influences sur le personé positive ou négative dans le conte populaire ،ceci comme un moyen de savoir ، de morale et d'éducation .par contre les enfants sont attires par les c nets de fées spécifiquement pour leurs s'implicites.

J'ai opte pour « les vache des orphelins » comme modèle de conte connu ،ou je vais essayer d'étudier le nature de la gestion par son importunée de la placer en un monde de position approprié.

Cette histoire a soulevé beaucoup de question a travers le comportement de l'enfant privé dune source de force et de soutiens parentales.

Également ، cette histoire a exprime le réélit sociale et humaine en générale a l'issue d'voire le j'essayerai en fonction réduite a' un monde de signes d'une lecture partielle.

يقول " بيترسون " Marc peterson : "إن الاختيار الحقيقي لفشلنا أو نجاحنا لا يأتي إلا عندما نرى أبناءنا قد كبروا وكبرت مع أجسامهم عقولهم ونضج تفكّرهم، وأصبحوا قادرين على أن يقفوا وحدهم في مواجهة أعباء الحياة، عندها فقد نحس أن صغارنا أصبحوا كبارا" [1] ، فلأطفال هم البذرة التي إذا أحسنا العناية بها سوف تنبت شجرة خضراء مورقة ، وقد مر مصطلح الطفولة بمراحل مع تطور العصور فلم يكن معروفا في العصور الوسطى بالمعنى الذي عليه الآن بل إن معنى الطفولة قد أخذ في تلك الفترة معنى القصور وعدم القدرة، فالأطفال قاصرون ويستمر اعتبارهم قاصرون حتى بلوغهم سن السابعة، وبعد هذه السن يعتبر الأطفال وفقا لمنظور العصور الوسطى راشدون أو كبارا وعليهم أن يندمجوا في عالم الكبار بكل ما يعني ذلك من عمل وواجبات قاسية تفوق إمكاناتهم وقدراتهم [2]، والطفولة في المعاجم هي مرحلة من الحياة التي تمتد من لحظة المهد إلى المراهقة أي الطفولة هي المرحلة من العمر التي تحول فيها الشخص من مرحلة الرضع على مرحلة الإنسان الراشد ومفهوم الطفل بكسر –الطاء– هو الصغير من كل شيء عينا كان أو حدثا ، فالصغير من أولاد الناس والدواب هو طفل ، والصغير من السحاب هو طفل ، ويقال :هو يسعى لي في أطفال الحوائج. [3] ،و يعرف الطفل وفقا للمادة الأولى من مشروع اتفاقية الأمم المتحدة على أنه هو كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة، ما لم يبلغ سن الرشد، أما الطفولة فتعرف على أنها مرحلة لا يتحمل فيها الإنسان مسؤوليات الحياة معتمدا على الأبوين في إشباع حاجته العضوية، وتمتد زمنيا من الميلاد وحتى قرب نهاية العقد الثامن من العمر [4]، وقد حثنا الدين الإسلامي على العطف على هذا المخلوق الضعيف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا " [5]

لذلك كان الأطفال محور اهتمام الأدباء، باعتباره الجنس الذي يخاطب عقول الأطفال له علاقة بمراحل نمو الأطفال فالغاية منه أولا إمتاع الأطفال مع عدم إهمال المستوى الوظيفي وهو تربية الطفل وتقديمه للمجتمع يحدد الدكتور أحمد زلط " مفهوما لأدب الأطفال إذ يقول

بأن:"...أدب الطفولة نوع أدبي متجدد في أدب أي لغة، وفي أدب لغتنا هو ذلك النوع الأدبي المستحدث من جنس أدب الكبار(شعره ونثره وإرثه ألشفاهي والكتابي)، فهو نوع أخص من جنس يتوجه لمرحلة الطفولة ، بحيث يراعي المبدع المستويات اللغوية و الإدراكية للأطفال, تأليفا طازجا أو إعادة بالمعالجة من إرث سائر الأنواع الأدبية المقدمة له ومن ثم يرقى بلغتهم وخيالاتهم ومعارفهم واندماجهم مع الحياة ، بهدف التعلق بالأدب وفنونه لتحقيق لتحقيق الوظائف التربوية و الأخلاقية والفنية الجمالية ". (6)

ولا يختلف أدب الأطفال عن أدب الكبار أو الأدب الرفيع " فهو فن مادته اللغة، وطبيعته التخيل، يتجسد في أنساق وممارسات فنية منسوخة من الأجناس الأدبية المألوفة ، وبالتالي فهو يندرج ضمن مفهوم الأدب عموما من حيث المادة والطبيعة والأنساق الفنية ، غير أن أدب الأطفال يتميز عن أدب الراشدين في مراعاته لحاجات الطفل وقدراته، وخضوعه لفلسفة الكبار في تثقيف أطفالهم الأمر الذي يجعل العملية الإبداعية لا تسير وفق البعد أو النظام نفسه الذي تتبعه في أدب الكبار، مما يجعل الكاتب لا يسعى إلى جذب المتلقي إلى منظوره كما هو الشأن مع الكبار وإنما يسعى إلى تبسيط منظوره مضمونا وشكلا لكي يتلاءم مع المتلقي الطفل ...وعليه فإن أدب الطفل يتميز بنوعيه جمهوره وطبيعته ، الأمر الذي يجعل الفرق بينه وبين أدب الكبار يقوم على خصوصية المتلقي أساسا ، وعلى مراعاة أدب الأطفال واهتماماتهم ، وقدراتهم العقلية واللغوية والذوقية"(7)

ويعرفه الدكتور أديب الجاجي بأنه "هو الأداة التعبيرية التي تراعي خصائص الطفولة وتلبي احتياجاتهم وتؤهلها لأداء دور فاعل في صنع المستقبل ملتزمة بمبادئ التصور الإسلامي وفق أشكال من التعبير الأدبي تناسب العصر وتحقق المتعة الفنية ...ومن أهم معايير هذا الأدب انه يصدر في كل ما يتعلق بالطفولة من حيث كونها هدف العمل الأدبي وكل ما يتعلق بالكلمة التي هي النتاج المقدم لها، وكل ما يتعلق بالأهداف التي يريد الوصول بالطفولة إليها " (8)، وتعتبر الحكاية من الأجناس التي عنيت بالطفل لانها مقدمة بالدرجة الأولى له .

فلقد عُرف شغف الإنسان بالحكاية منذ القديم ، فهي تكوّن لهفة وشغفا لدى السامع لمعرفة المزيد، وتعتبر الحكاية الشعبية " أعرق الحكايات في العالم ، وهي المنبع الأول لأغلب الحكايات، وقد مرت بتطورات عديدة للأحداث التي مرت على الشعوب " [9]، والحكاية الشعبية بمفهومها البسيط" شكل قصصي، يتخذ مادته من الواقع النفسي و الاجتماعي الذي يعيشه الشعب" [10] ، فهي مرويّة شعبية , نسجها الخيال الشعبي , وتداولها الناس جيلا بعد جيل مضيفين لها ومحورين فيها , وهي كما تعرفها المعاجم الألمانية الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لأخر , أو كما تصفها المعاجم الإنجليزية حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة , وتتطور مع العصور وتتداول شفاها , كما أنها قد تختص بالحوادث التاريخية أو الأبطال الذين يصنعون التاريخ[11] .

فالحكي –كان للإنسان ومازال–" أداة المعرفة الوحيدة التي عرفها ، ومن خلاله صاغ فكره الديني والثقافي ، والعملي ، واستطاع من خلاله أن يعبر عن الخبرات الحياتية ، ويشكل من خلاله الوعي الإنساني وإدراك الحياة وفهمها مذلك من خلال ما ابتدعته عقليته من أشكال التعبير القولي ، والتي عرفت بالأدب الشعبي بداية من الأساطير ونهاية بالنوادر" [12] فعالم الحكايات الشعبية الذي يتحرك فيه أبطال الحكايات طلبا للمغامرة أو بحثا عن الأدوات السحرية ، عالم زاخر بالعجائب ، ممعن في الخيال ، عالم يبعث الحس والشعور في الحيوان والنبات و الأدوات الجامدة ، وتلغي فيه أبعاد الزمان والمكان ، وتفيض فيه مشاعر الوفاء والتضحية ، والعدل وينتصر الخير فيه دائما " [13]

يعتبر مفهوم الحكاية الشعبية بمعناها الواسع والشامل " سياقة أحداث واقعية حقيقية أو خيالية دون الالتزام بأسلوب معين في القص أو الحكي تختلف من فرد للآخر من حيث الطريقة التي تسرد بها الأحداث في حين إن الحكايات تتضمن مجموعة من الأحداث و الأخبار و الأفعال و الأقوال سواء كانت حقيقية أي مأخوذة من الواقع الذي يطلقه الفرد أو المبدع الشعبي ليصور الأحداث التي تشكلت في مخيلته ويريد سردها في قالب فني حكائي لإضفاء نوع من المتعة والتشويق على الحكاية ليستمع بها المتلقي " [14]

إن عالم الحكايات الشعبية عالما زاخرا بالعجائب الذي يتحرك فيه أبطال الحكايات طلبا للمغامرة، أو بحثا عن الأدوات السحرية وذلك من خلال ما ابتدعته عقليته بين الحقيقة والخيال فيبعث الحياة في الحيوان والنبات والأدوات الجامدة، فيعبر عن الخبرات الحياتية، ويتشكل من خلاله الوعي الإنساني لمحيطه، مما يتيح له الاندماج في المجتمع وفهمه فيلغى فيها أبعاد الزمان والمكان، وينتصر الخير فيها دائما وحيث أن الحكاية الشعبية موجهةٌ أساسا للكبار عبر القرون ، إلا أن محتوى هذه القصص من السحر والخيال والكائنات الخرافية جعل إقبال الأطفال عليها أكثر إذا أردنا أن نتحدث عن العلاقة بين الحكاية الشعبية و الطفولة، فإننا سنتجه بالضرورة إلى الحديث عن أدب الأطفال «... باعتباره وسيطا تربويا يتيح الفرص أمام الأطفال كمعرفتهم الإجابات عن أسئلتهم واستفساراتهم، ومحاولة الاستكشاف واستخدام الخيال..إنه يتيح الفرصة أمام الأطفال لتحقيق الثقة بالنفس وروح المخاطرة في مواصلة البحث والكشف و حب الاستطلاع.. " (15)

ولقد وجد الأطفال منذ القدم ضالتهم في الحكايات الشعبية والخرافية، والأساطير، والأمثال والحكم ، وذلك لما للتراث الشعبي أهمية كبيرة ذلك أنّه إذا أردنا تثقيف الطفل وتنميته وتنشئته على أسس سليمة، فلا بد أن نقدم له، ينهل من هذا التراث الشعبي حتى لا ينشأ مقطوع الصلة بماضيه، ويعتبر الطفل أكثر الفئات قدرة على" استيعاب هذا التراث لأنه مازال في مرحلة الاستيعاب لكل ما يبث ويلقى إليه " (16)

إن المربي سواءٌ أكان معلماً أم أباً أم أماً مطالب باختيار الحكاية للطفل من حيث صلاحيتها التربوية وتمثيلها للقيم وللمفاهيم الفاضلة التي تعارف عليها مجتمعه "لاسيما أن تربية الأطفال عند المسلمين لا تقف عند تعليمهم و إنما تمتد إلى تربية خلقهم ورسم الطريق الصحيح لتكوين الإنسان الناجح الصالح الذي ينفع دينه ودنياه..". (17)

إضافة إلى أنه مطالب أيضاً من توخي الحذر في اختيار الأبطال والمغامرين والابتعاد عن الأبطال الطائشين والقتلة واللصوص خشية الاقتداء بهم واختيار الحكايات التي تسعد الأطفال بأبطالها "الذين يتحركون بحرية ، دون حواجز أو قيود ، وإثارة مشاعر الأطفال ،

وسط أجواء التضحية والبطولة والصدق والعدل ، حيث ينتصر الخير دوماً ويخذل الشر والأشرار" [18] كم يجب عليه التدخل لتعديل مسار المعلومة أو الحكاية التي تعرض للطفل بشكل عفوي وتوجيه الطفل بالاتجاه الصحيح من حيث الفهم ومعرفة المغزى والمدلول، لأن هدف هذه القصص ليس إيصالها المعلومات إلى الأطفال . بل إشباع مخيلاتهم , ودفع عقولهم إلى التفكير في آفاق أكثر سعة , لذا تعد تنمية قدرة الطفل على التخيل والتأمل والمرونة أحد أهداف هذه القصص [19]، فهناك آراء كثيرة تقوم علي رفض تلك الأساطير والحكايات الشعبية بما تحمل من جوانب سلبية قد تؤثر علي سلوك الطفل على المدى الطويل، لأنه سرعان ما يتقبلها على علاتها لضعف الملكة النقدية لديه ولصعوبة التفريق بين الجيد والرديء فلهذه الحكايات سحر أخاذ يمتلك اللب ويخدر التفكير، وبما أننا نريد من أبنائنا أن يكونوا كما نريد فعلينا أن نتعاون جميعاً لترصين بنائهم الفكري والثقافي وحتى الترفيهي"ومن المعلوم أن الرفض لا يطال الأساطير والحكايات الشعبية وغيرها من أنواع الأدب الشعبي لذاتها، ولا ينتقص من قيمتها التاريخية والمعرفية بوجه من الوجوه، إنما الأمر يتصل بتعاطي الطفل معها، والتعامل معها بقداسة، أو علي أقل تقدير كمسلمات اجتماعية، بل إن الواجب يقتضي الدعوة إلي الاهتمام بكل الأساطير والموروثات الشعبية من خلال جمعها وتنقيحها ودراستها وتعميمها، باعتباره إرثا قوميا وتاريخيا لا غنى عنه" [20]

وكما يرى الدكتور أحمد زلط: أنه إذا دقق الكتاب والمؤدبون والمعلمون في اختيار النصوص التي تناسب أعمار ومدارك الأطفال، أو إعادة صياغة (معالجة) الحكايات الخرافية والأساطير لتحقق الوظائف التربوية والجمالية واللغوية في مجال أدب الأطفال، وهذه المعالجة لن تفقد أصول الحكايات على ألسنة الحيوان fables أو الأسطورة myth شيئا من مغزى أيهما أو روعة الخيال التصويري في سردهما بإعادة المعالجة، فالحكايات الخرافية أو الأسطورية على تنوعها قديمة قدم الأدب العربي، وقد وجدت قصص الجان الخرافية وقصص الحيوان فى الحياة العربية منذ عصر ما قبل الإسلام [21]، لان هدف الحكاية "توسيع خيال الطفل وتربية وجدانه، وتنمية ذاكرته وتعوده الانتباه الذي يعينه على حسن

الفهم وتحصيل المعرفة؛ حيث إن الانتباه أول خطوة من خطوات التفكير العلمي، كما أنها تطبعه علي حسن الاستماع، وحسن الاستماع أساس الفهم، وحسن الفهم أساس لحسن الكلام والتعبير عما يجول في النفس من الإحساس والأفكار، كما أن الحكاية وقصتها تساعد في استمالة الطفل إلى التعليم وتحببه في الاطلاع والقراءة فيما بعد، وتزيد في خبراته، وتنمي معارفه العامة، وتساعده في حل مشكلاته، كما أن فيها متعة وتسلية للطفل، بما تشتمل عليه من جمال الفكرة، وروعة الخيال، وحسن العرض والأداء" (22)

وحيث إن الحكاية الشعبية أدب جماعي يؤثر ويتأثر فان له مميزات يتفرد بها كبساطة التعبير و الإيجاز في المعنى ،إذا ما قارناها بالقصص المدرسي الذي أبدعه أفراد يتميزون بعمق التفكير والقدرة على تطوير الحديث بطريقة تقنية متراابطة تتلاحق فيها الأحداث ، ويتعقد فيها الصراع حتى النهاية" (23)

وتتميز الحكاية الشعبية "بانتهاج خط عام تتمثل فيه رؤية إنسانية تعبر عن حالات نفسية واجتماعية وثقافية تشترك فيها كل الشعوب بصورة من الصور ورغم إختلاف البيئة الاجتماعية ، وتباعد المجتمعات زمانا ومكانا،فإنّ القصاص يعبر عن واقع نفسي، تنعدم فيه النظرة الإقليمية والقومية التي يتسع التصوير رؤية أبعد من حدود السياسية و الجغرافية للشعوب". (24)

ولو عدنا إلى الحكاية الشعبية في التراث الجزائري لا تقل قيمة عن الأدب الرسمي، فأشكالها كثيرة ومتنوعة ،فقد ظلت الحكاية الشعبية تمثل الإمكانية الأكثر انتشارا استخدمها المجتمع الجزائري للتعبير عن واقعه المباشر بصفة عامة وعلى الرغم من هذا التنوع الصاخب إلاّ أنه وللأسف قلّ وجودها إن لم نقل انعدم في وقتنا الحاضر. والسبب ذلك يرجع التغير المفاجئ الذي عرفه المجتمع الجزائري و انصراف الدارسين والباحثين عن مثل هذا الفن إلى مجالات الأدب الرسمي،استمد الكثير من قصاصي الأطفال من الحكايات الشعبية الجزائرية مادة لقصصهم ولاقت إعجاب الأطفال وسعدوا بأبطالها وفرحوا بالحيوانات المؤنسنة ، والأنسنة هي "جعل الحيوانات بشراً في السلوك ، وفي العقل ، وفي النطق ، والزج بها على

عالم الحياة اليومية للإنسان"، [25] فالحيوان أداة رائجة في استقطاب عقول واهتمام الأطفال ، وكذلك النباتات التي تتطير وتتحرك وتقوم بأدوار بشرية تناسب طبائعها الحقيقية في الواقع والتي تمتاز بالبساطة والثبوت ، وتثير مشاعر الأطفال وسط أجواء التضحية والبطولة والصدق والعدل والخير والمحبة فضمت الحكاية الشعبية الجاذبية والشاعرية والفكاهة هي "تلك الصفة في العمل أو في الكلام أو في الموقف أو في الكتابة التي تثير الضحك لدى النظارة أو القُرّاء" [26] تستهدف تنمية ذوق الطفل وإذكاء إحساساته وتأصيل قيم ومفاهيم جديدة لديه حيث "تولد الفهم الكامل والصحيح للموقف الساخر وأسباب وقوعه لكي يتجنبها مستقبلاً" [27]

وتعتبر حكاية بقرة اليتامى من الحكايات الشعبية التي استطاعت أن تثير قضايا عديدة من خلال سلوكيات أفرادها الذين عبروا لها عن واقعهم الاجتماعي وتتبين من خلالها قيمنا الأخلاقية خاصة علاقة الطفل بمحيطه الاجتماعي باعتبار أن أبطال الحكاية أطفالا هذا ما جعلها أكثر تداولا عند شريحة الأطفال إضافة إلى أنها عبرت عن الواقع الاجتماعي الجزائري بمختلف أبعاده حيث أنها تصب في " موضوعات اجتماعية ونفسية التي يعيشها الفرد بحيث تسرد حكايات الواقع الاجتماعي إحداث واقعية مرت على فئة معينة وذلك باللجوء إلى أشخاص واقعيين عند إلقائها،أهم ما يميزها المغزى والحديث على التحلي بالصبر و الأخلاق الحميدة . إذ أن الحكاية الشعبية تنطوي أساسا على ما يمر به أفراد مجتمع معين سواء كانت نهاية تلك الحكاية فرحة أو سيئة تاركة بصمتها بمثل أو حكمة ،إذ تسرد بطريقة عفوية مع الحفاظ على القيم الإسلامية والسلوك الحضاري،ان الحكاية الشعبية تنفرد بنوعها عن باقي الأنواع الأخرى من الجناس الأدبية الشعبية وإبراز ما تتميز به الحكاية الشعبية " [28]

لذلك احتلت القصة المروية المكانة الأولى في أدب الأطفال وهي عبارة عن إبداع مقدم للطفل ومن خلال ما يحمله من شفرات توجه للطفل أهداف وغايات معينة باعتبار أن" الطفل بحكم بنائه النفسي الغض أميل إلى أن يتأثر بالجانب الإغرائي في الرسالة والجانب

الإغرائي يتضمن الإثابة والعقاب ، أي تحقيق متعة أو معاناة وهذا أحد جوانب البعد الجمالي فيها ". [29]

صورة الطفل في الحكاية الشعبية "بقرة اليتامى" :

إن مدلول الصورة يشمل الخيال الذي يصور الأسلوب و العاطفة فهي "تجسيم لمنظر حسي أو مشهد خيالي يتخذ اللفظ أداة له وهناك – بالإضافة إلى التجسيم– اللون والمنظر أو الإيحاء والإطار وكلها عوامل لها قيمتها في تشكيل الصورة وتقويمها" [30]

وإذا عدنا إلى صورة الطفل في العمل الأدبي فهي" مجموعة من الخصائص الجمالية والتشكيلات الدلالية والفنية التي يحققها وجود الطفل في النص الأدبي" [31]، فكل شيء في الطفولة يتحقق عن طريق" اتساع دائرة الحلم لتصبح تعبيرا عن الامتلاك حتى تشمل " الكلّ " فيصبح المستحيل فيها ممكنا .الكون ينبض بالحياة، والدنيا مليئة بالزهور و الابتسامات الضاحكة ليقبل الطفل على الحياة فيرتوي من كؤوس الفرح الواسع" [32]

ملخص الحكاية كان رجل له زوجتان: الأولى لها ولد وبنت جميلة، أما الثانية فلها بنت ذميمة الخِلْقَةِ، وكان الرجل يميل إلى زوجته الأولى لأنها طيبة وعاقلة فكانت الزوجة الثانية تغار من ضرتها وابنتها اللتين تفوقا عليها في الجمال من جهة وأنها أم الولد من جهة ثانية .في يوم من الأيام ذهبت ابنة الزوجة الطيبة إلى زوجة أبيها، فوجدتها تنسج في إزار أحمر اللون، فَأُعْجَبتْ به، وقالت :آه! فقالت لها أَشْحَالْ مْلِيحْ لِيزَارْ هَذَا الْلِّي تْنَسْجِيهْ آه لُوكَانْ تْنَسْجِيلِي وَاحَدْ كِيفُو فإستغلت زوجة أبيها الوضع وقالت لها : أَقَتْلِي أَمُّكْ نَنْسَجْلَكْ وَاحَدْ كِيفُو قالت الفتاة ببراءة تامة :كِيفْ نْدِيرْ أُو نَقْتَلْهَا يَا لَالَّهْ؟

قالت لها :رُوحِي جِيبِيَ لعْقارَبْ أُو حَطِّيهَا فِي الْمَزْوَدَةُ - نْتَاعْ لْمَلْحْ، أُو قُولِيلْهَا يَمَّا رَانِي جَايْعَه أَخَرْجِي مَنْ السَدَّايَةْ دِيرِي لِي الْكَسْرَةْ . ذهبت الفتاة مسرعة، فقامت بإحضار العقارب، ووضعتها في مزودة الملح، وَأَلَحَّتِ على أمها التي كانت تنسج، أن تُحضِّرَ لها الطعام، تماما كما قالت لها زوجة أبيها، خرجت الأم ملبية طلب ابنتها، فقامت بإحضار الدقيق، ومدت يديها إلى مزودة الملح وفكت ربطة الخيط الذي أغلقت به وأدخلت يدها فلدغتها

العقارب فماتت في التو، وعادت البنت إلى زوجة أبيها وأنبأتها بما فعلت قائلة :لاَلَّهْ، لاَلَّهْ:قْتَلْتْهَا قْتَلْتْهَا .فردت عليها زوجة أبيها وقالت : صحيتي يا بنت عدوتي ،ماتت الأم ، وبقي ولداها يعيشان ربيبين، لا يلقيان من زوجة أبيهما إلا الإهمال، فمن شدة الجوع والعطش كانا يرضعان البقرة التي تركتها لهما أمهما عندما يرعيانها، إذ كان كل واحد منهما يرضع ثديين، وبقيا على تلك الحال يرضعان البقرة، وبدت على وجوههما مظاهر الصحة الجيدة، على عكس بنتها التي أفرطت في الاعتناء بها ورغم ذلك كانت نحيفة وشاحبة . تنبهت زوجة أبيهما لذلك، واحتارت لأمر ربيبيها، وقامت باقتفاء أثرهما لمعرفة السر في ذلك، فوجدتهما يرضعان البقرة، بالتداول وأمرت ابنتها لتفعل هي أيضا، وفي الغد ذهبت الفتاة إلى المرعى مع أخويها، وعندما ذهبت إلى البقرة لترضعها، أحست البقرة بأنها غريبة، فصكتها على وجهها برجلها الخلفية إلى عينها فعورتها، وفي المساء عادت البنت إلى أمها عوراء، فقررت الزوجة على أن البقرة التي عورت ابنتها ستذبح . في المساء دخلت في جدال مع زوجها، حول شأن البقرة، وأمرته بذبحها، ورد عليها بأنه لا يعقل ذبح بقرة اليتامى، لكنها أصرت على ذلك، ولكن بعد رفضه لذبحها، أمرته بالذهاب إلى السوق وبيعها ، فعاد إلى البيت وأخبرها ، فلم تقتنع، ورفضت الأمر، وأمرت زوجها بالعودة إلى السوق لتعيد النظر في الأمر علها تتراجع عن حكمها، فعاد الزوج، وتبعته الزوجة بعد أن تنكرت في زي الرجل، إِلْتَفَّتْ بِالْبَرْنُوسِ وراقبت زوجه فوجدته يصيح :اللي تشري بقرة اليتامى ما تربح ما تسعد ، ولما عاد إلى العيد خيرته بين ذبح البقرة وهجرانها لها فوافق تحت ضغوطاتها وفعل ذلك ،ذُبِحت البقرة، وتم تفريغ أحشائها فوق قبر أم الطفلين، فنبت فوقه أربعة أثداء، اثنان يفيضان بالعسل، والآخران بالسمن، وكانا الطفلان يرضعان هذه الأثداء عند كل زيارة لقبر أمهما، وكعادتها كانت زوجة أبيهما تراقبهما، واكتشفت على أنهما يرضعان تلك الأثداء التي نبتت فوق القبر، فقامت بحرقهما، ونبتا مرة أخرى، وأحرقتهما مرة ثانية، لكنها يئست بعد أن نبتا مرة ثالثة، فقررت الرحيل إلى بلاد بعيدة. لكنه قبل ذلك قامت بإحضار زجتين من الصوف، الأولى لونها أسود، والأخرى أبيض، وكلفتهما بغسلهما إلى أن تتحول السوداء إلى بيضاء،

والبيضاء إلى سوداء، ثم يقومان بملء الماء في الغربال حينها يمكن لهما العودة إلى البيت.نزل الطفلان الوادي لإنجاز المهمة المستحيلة، وفي الوقت الذي كانا يحاولان استحالة ماهو أبيض إلى ما هو أسود، والعكس، كانت الزوجة قد شدت الرحيل، وفي المساء رفرف الغراب بجناحيه فوق رؤوس الطفلين قائلا :عَاقْ عَاقْ ، لَبْيَضْ مَا يَكْحَالْ، لَكْحَلْ مَا يَبْيَاضْ، الْمَاءْ مَا يَتْهَزْ فِي الْغَرْبَالْ، مَّالِينْ الدَّارْ راهم شدوا الترحال ،عادا إلى الدار فوجداها فارغة، نظرا إلى مكان النار في ركن الدار فوجدا تحت الرماد خبزتين، واحدة خبزت من دقيق القمح والأخرى من دقيق الشعير، وكانت زوجة أبيهما قد وضعت السم في خبزة القمح، أما الأخرى فلم تضع فيها شيئا، وشك الطفلان في ذلك، وقدما لقمة من خبزة القمح إلى القط أكلها فمات، وقدما من خبزة الشعير إلى الكلب فلم يمت، فأكلاها. خرجا يطوفان حول الدار لعلهما يجدان سبيلا إلى طريق والدهما وهكذا حتى وجدا نفسيهما ضائعين وفي الطريق اهتدى إلى منبع ما مسحور، الذي ارتوى منه مرة واحدة لا يحدث له شيء، أما الذي ارتوى منه أكثر من مرة، يتحول إلى غزال ،شربت مرة واحدة، أما أخوها فشرب أكثر من مرة، فتحول إلى غزال، ونزع خفيه، ووضعهما فوق قرنيه، وتبع أخته. استدارت الأخت إلى الخلف وإذا بغزال يتبعها، فقالت :آه،ياخويا وعلاه خدعتني؟ شربت أكثر من مرة، فرد عليها: الله غَالَبْ عْطَشْتْ وَاشْرَبْتْ أُوعَاوَتْ وَ اخْلاَصْ، مشي حتى وصلا إلى شجرة عالية بجانبها بئر فتسلقا عليها يأكلان من ثمارها ويحتميان بها ،وكانت البنت تقوم بتسريح شعرها، وكان شعرها يتساقط فوق مياه البئر، جاء خادم السلطان بفرس سيده إلى المورد، لكن الفرس أبى أن يشرب، فعاد إلى السلطان وأخبره بأن الفرس أبى الشرب، فجاء السلطان بنفسه ليرى ما في الأمر، فقام بفتح فم فرسه فوجد شعرة امرأة التفت بلسانها وكانت هذه الشعرة طويلة جدا دلالة على جمال هذه الفتاة ، فأمر خادمه بأن يسوقها إلى البئر مرة أخرى، فشربت الفرس هذه المرة، فنظر السلطان إلى الأعلى، وإذا بفتاة في رأس الشجرة، فأمرها بالنزول، واشترطت عليه الفتاة بأن لا يؤذي من معها. وعاهدها السلطان على أن لا يلحق من معها أي أذى، إذ قام بتحريم الصيد، حتى لا يُصْطَادَ الغزال. فنزلت الفتاة من أعلى النخلة، وذهب الخادم إلى

إحضار أخيها الذي استحال غزالا، وأخذهما السلطان إلى قصره، وتزوج بالفتاة، وأخوها يظل يمرح فوق مزاود الدقيق ،أما زوجة أبيها ظلت تبحث وتسأل عنهما، حتى قيل لها بأنهما يوجدان في قصر السلطان، فكلفت ابنتها بزيارة أختها ، عندما نزلت الفتاة ضيفة على أختها قالت لها: هيا نذهب إلى البئر لنسقي الماء معا، فلبت ، طلب أختها واتجهتا نحو البئر، وعندما وصلتا قالت لها أختها :

هيا نطلو على البئر باه نشوفو شكون أجمل ، وعندما فعلتا خدعتها، وقامت بدفعها فسقطت إلى قاع البئر. وعادت وحدها إلى القصر، وعل ظهرها قربة الماء، لتوهم السلطان بأنها زوجته، تماما كما خططت لها أمها؛ فقال لها السلطان :وَاشْ بِيهْ وَجْهَكْ؟ فقالت له :لَهْوَا انْتَاعْ بْلاَدْكُمْ مَا سَاعَدْنِيشْ .وقال لها :وَاشْ بِيهَمْ عِينِيكْ؟ أجابت الفتاة قائلة :لَكْحُلْ انْتَاعْكُمْ اللِّي دَارْلِي هَاكْذَا .وأضاف السلطان قائلا :وَاشْ بِيهَمْ سَنِّيكْ؟ قالت:اسْوَاكْ انْتَاعْ ابْلاَدْكُمْ اللِّي احْرَقْتِي هَاكْذَا.في يوم من الأيام طلبت من السلطان أن يأمر بذبح الغزال، متذرعة بأنه يظل يمرح فوق مزاود الدقيق ويفسده، وذَكَّرَهَا السلطان بالعهد الذي قطعه معها ضانا بأنها زوجته. رفض السلطان طلبها، لكنها أصرت وألحت عليه بحجة أنها هي التي خانت العهد وليس هو، فأمر السلطان خادمه ليخبره بأنه سيذبح، فطلب منهم بأن يدعوه يذهب إلى تلة جنب البئر ليردد كلمتين ويعود إليهم ويفعلوا ما أرادوا. لبوا له طلبه، وذهب إلى التلة بقرب البئر الذي تتواجد فيه أخته، فقال الأخ: ياخيتي، يَاخْتِي خُوكْ رَايَحْ يَتَّذْبَح ،فردت عليه قائلة : وَاشْ رَايَحْ انْدِيرْلَكْ يَاخُويَا ،عِيسَى وَمُوسَى فِي حَجْرِي وَالْمَاءُ وَاللهِ مَا خَلاَّنِي نَجْرِي، لَحْبَلْ لَزْرَقْ مَلْفُوفْ عَلَى رِجْلِي .«وكان خادم السلطان يسترق السمع، فسمع هذا الهمس الذي يصدر من البئر، وأخبر سيده السلطان بذلك،فجاء السلطان مع الخادم وأعاد «عَلِي زَرْزَرْ»إلى المكان الذي جاء إليه من قبل، وطلب منه ترديد ما كان يردده من قبل، فردد الغزال ذلك، ونادته أخته من قاع البئر، فاتجه السلطان إلى البئر وإذا بفتاة بداخله معها طفلين، وأمر بإحضار سباح لإخراجها، وتم إخراج الفتاة من البئر، وعرف أنها زوجته، وسألها عن الأمر، وأخبرته بأن أختها(العوراء) التي زارتها هي التي فعلت ذلك لتتولى

مكانها. فعاد بها السلطان هي وولداها وأخوها إلى القصر، وأراد ان يقتل أختها لكنها رفضت ذلك ، فندمت الأخت الشريرة لما رأته من أختها بعد ما فعلته بها ، وعادت إلى امها التي وجدتها فارقت الحياة بسبب سم كانت تعده لقتل الأخوين .

صورة الطفل اليتيم :

لقد شكلت **قضية الطفل** اليتيم في حكاية "بقرة اليتامى" المعاني الإنسانية في أكثر صورها مصداقية وشفافية تفاصيل المأساة التي يعاني منها الطفل اليتيم ، وهي من القضايا الواقعية ، التي تشعل نار الحزن والحسرة والألم بما يكتنفها من حزن حيث تنبض الصورة بالأحلام المتكسرة والمعاناة المريرة، فتراه يتحدث بلسان ذلك الطفل الذي يعيش داخله مصورا ألامه وآماله،

فموضوع الحكاية حول يتيمين تغيرت حياتهما وانقلبت إلي الأحزان وذلك بعد وفاة أمهما ففي بداية الأمر تزوج والدهما واتى بزوجة لتساعده في تربية أولاده اليتامى ففي بادئ الأمر كانت زوجة أبيهما تعاملهما بلطف تغيرت الأحداث بعدان أنجبت ابنتها مما أدى باليتيمين بالعيش تحت وطأة زوجة أبيهما حيث كانت تعطيهما من بقايا الأكل وكلما يبقي لابنتها فلجا اليتيمين للبقرة حيث كانا يشربان من حليبها وعندما علمت زوجة أبيهما بالأمر أمرت ابنتها أن تفعل نفس الشيء مما أدي بالابنة إلي أن تصبح عمياء وهنا يأتي الحدث حيث أمرت زوجة الأب بذبح البقرة التي جعلت ابنتها عمياء .وقد توالت الأحداث بعد هدا الحدث المأساوي وانقلبت حياتهما إلي نور وهناء بعد عناء شديد ومن خلال هده الأحداث نجد أن روي هاته الحكاية تأثر بالواقع الاجتماعي و بعمق المعاناة النفسية ، وذلك لما للأبوين أهمية كبيرة في تلبية مطالب أساسية وجوهرية في تنشئة الطفل تنشئة أسرية، وخاصة الأب لما له من دور كبير في أن يكون قدوة يحتذي بها الأبناء ،وصورته فينظرهم عظيمة لاتوازيها عظمة . [33] ، وانطلاقا من مقولة جون بولين John Bolin: " ليس هناك مكان مثل المنزل" والتي يقصد فيها الإشارة لدور الأسرة في تربية الطفل وتنشئتهم وتطبيعهم ، فلقد وجد كثير من الباحثين أن الحرمان من الأسرة يؤدي إلى ازدياد معدل المشكلات

السلوكية وانخفاض مستوى حل المشكلات عند الأطفال ،وان أطفال الملاجئ يشعرون بعدم الأمان والخوف والتوتر والتوقع وأنهم اقل تكيفا من نظرائهم الذين يعيشون في كنف أبويهم . (34)

تعد الأسرة المكونة من الأب و الأم أقدم مؤسسة اجتماعية للتربية عرفها الإنسان ، ولاتزال تقوم بدورها في تعليم وتهذيب النشء ، وتزويدهم بخبرات الحياة، ومهاراتها المحدودة ومعارفها البسيطة . (35)، وإن فقدان أحد أفراد الأسرة وخاصة الوالدين يجعل الطفل يشعر بعدم الأمان وعدم الكفاية وعدم الثقة مما يجعله يبالغ في تقدير المواقف التي يمر بها على إنها تمثل ضغوط ويشعر بعدم القدرة على مواجهة الضغوط مما يجعله أكثر قلقا ويبدأ الطفل في توقع الخطر والشر سواء لنفسه أولأسرته ،ويمتد هذا القلق وتوقع الشر في الحاضر والمستقبل .

فزوجة الأب كانت الشر الذي أصاب العائلة بعد فقدان الأم فإلى جانب الحرمان يصطدم الأطفال بزوجة الأب التي طال تأثيرها حتى على الأب نفسه حيث خضع لسلطتها وامتثل لأوامرها وهذا ما يتضح من خلال المقطع التالي :

" ماتت الأم ، وبقي ولداها يعيشان ربيبين، لا يلقيان من زوجة أبيهما إلا الإهمال، فمن شدة الجوع والعطش كانا يرضعان البقرة التي تركتها لهما أمهما عندما يرعيانها، إذ كان كل واحد منهما يرضع ثديين، وبقيا على تلك الحال يرضعان البقرة، وبدت على وجوههما مظاهر الصحة الجيدة، على عكس بنتها التي أفرطت في الاعتناء بها ورغم ذلك كانت نحيفة وشاحبة . تنبهت زوجة أبيهما لذلك، واحتارت لأمر ربيبيها، وقامت باقتفاء أثرهما لمعرفة السر في ذلك، فوجدتهما يرضعان البقرة، بالتداول وأمرت ابنتها لتفعل هي أيضا، وفي الغد ذهبت الفتاة إلى المرعى مع أخويها، وعندما ذهبت إلى البقرة لترضعها، أحست البقرة بأنها غريبة، فصكتها على وجهها برجلها الخلفية إلى عينها فعورتها، وفي المساء عادت البنت إلى أمها عوراء، فقررت الزوجة على أن البقرة التي عورت ابنتها ستذبح . في المساء دخلت في جدال مع زوجها، حول شأن البقرة، وأمرته بذبحها، ورد عليها بأنه لا يعقل

ذبح بقرة اليتامى، لكنها أصرت على ذلك، ولكن بعد رفضه لذبحها، أمرته بالذهاب إلى السوق وبيعها ، فعاد إلى البيت وأخبرها ، فلم تقتنع، ورفضت الأمر ،وأمرت زوجها بالعودة إلى السوق لتعيد النظر في الأمر علها تتراجع عن حكمها، فعاد الزوج، وتبعته الزوجة بعد أن تنكرت في زي الرجل، إِلْتَفَّتْ بِالْبَرْنُوسِ وراقبت زوجه فوجدته يصيح :اللي تشري بقرة اليتامى ما تربح ما تسعد ، ولما عاد إلى العيد خيرته بين ذبح البقرة وهجرانها لها فوافق تحت ضغوطاتها وفعل ذلك ، ذُبِحت البقرة، وتم تفريغ أحشائها فوق قبر أم الطفلين، فنبت فوقه أربعة أثداء، إثنان يفيضان بالعسل، والآخران بالسمن، وكانا الطفلان يرضعان هذه الأثداء عند كل زيارة لقبر أمهما، وكعادتها كانت الرومية تراقبهما، واكتشفت على أنهما يرضعان تلك الأثداء التي نبتت فوق القبر، فقامت بحرقهما، ونبتا مرة أخرى، وأحرقتهما مرة ثانية، لكنها يئست بعد أن نبتا مرة ثالثة، فقررت الرحيل إلى بلاد بعيدة "(36)

فرسمت لنا هذه الحكاية صورة من أبشع الصور التي يمكن أن يعاني منها الطفل اليتيم .

صفات الطفل المعنوية :

ونقصد بها " مجموعة الخصائص المميزة اتجاه القصة الشعبية مثل النزوع إلى الحرية وكراهية الظلم والجبروت والرغبة في المساواة و خصائص هامة تعبر عن إحساس الطبقات الشعبية ورؤيتها المثالية للعلاقات العامة بين الأفراد والجماعات" (37) نلمس في حكاية بقرة اليتامى مجموعة من الصفات المعنوية التي اتصف بها الطفلين منها :

الصبر :

و الصبر :هو "خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يَحْسُنُ، ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها "(38)

وهذه القوة هي التي "تمكِّن الإنسان من ضبط نفسه لتحمّل المتاعب، والمشاق، والآلام "(39) والصبر" صفة إيجابية تميز بها تقريبا جل أطفال أبطال الحكاية الشعبية الجزائرية، ذلك أن الإنسان في هذه الحياة عرضة للخير والشر، والفقر والغنى، والمرض والصحة، والعسر واليسر، فالطفل البريء في الحكاية الشعبية، وبعد أن تعرض لضغوطات متعددة من جانب،

وتعاكسه ظروف الحياة الصعبة من جانب آخر، نجده صبورا، وفي حكاية "بقرة اليتامى " صورا للصبر حيث يقدم الراوي لنا الراوي أن الأطفال صبروا على التصرفات القاسية من قبل زوجة أبيهم ، وهنا يكمن دور المخيال الشعبي الذي يربى الأولاد على الصبر وتدريب النفوس على حمل المشقات ولذا حين سبل الإمام الشافعي رحمه الله:"أُيهما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى؟ فقال :" لا يمكن حتى يبتلى"[40] فالصبر دواء للقلوب

إضافة إلى هذا فالطفل الذي يواجه الجوع واليتم والهموم والفقر وأذى الناس وقسوة الطّبيعة بالصبر ليس هناك ما يخاف منه في المستقبل

الطاعة :

إن النظام الذي يفرض على الأطفال هو نظام الطاعة و الاحترام، وهذا ما نجده كذلك لدى الفرس، فالأب في الأسرة الفارسية هو السّد المطاع كما كانوا يتعهدون فيهم جملة من الصفات الخلقية الحميدة: كالطاعة ومحبة الآباء والعدل والشجاعة والاعتدال "[41]

وإذا ما عدنا إلى حكاية بقرة اليتامى نجد الطفلين كان مطيعين لوالدهما وحتى لزوجة أبيهما" لكنه قبل ذلك قامت بإحضار زجتين من الصوف، الأولى لونها أسود، والأخرى أبيض، وكلفتهما بغسلهما إلى أن تتحول السوداء إلى بيضاء، والبيضاء إلى سوداء، ثم يقومان بملء الماء في الغربال حينها يمكن لهما العودة إلى البيت .نزل الطفلان الوادي لإنجاز المهمة المستحيلة، وفي الوقت الذي كانا يحاولان استحالة ماهو أبيض إلى ما هو أسود، والعكس، كانت الزوجة قد شدت الرحيل، وفي المساء رفرف الغراب بجناحيه فوق رؤوس الطفلين قائلا :عَاقْ عَاقْ ، لَبْيَضْ مَا يَكْحَالْ، لَكْحَلْ مَا يَبْيَاضْ، الْمَاءْ مَا يَتْهَزْ فِي الْغَرْبَالْ، مَّالِينْ الدَّارْ راهم شدوا الترحال." [42]

الفقر والبؤس :

تعتمد الحكاية الشعبّة في سلوكيات التحول الاجتماعي على "روح المبالغة سمة شعبية تفرضها طبيعة القاص نفسه...قد تكون المبالغة محفزة لاستنهاض بطل مظلوم "[43]

،"فالمبالغة في إضفاء صفات خاصة على مثل هذا تنقلهم من وضع ما إلى وضع آخر" [44]

، فبقرة اليتامى صورة للطفل الفقير البائس الذي فقد مصادر الدعم ومن ذلك ما يروى :

"ماتت الأم ، وبقي ولداها يعيشان ربيبين، لا يلقيان من زوجة أبيهما إلا الإهمال، فمن شدة الجوع والعطش كانا يرضعان البقرة التي تركتها لهما أمهما عندما يرعيانها، إذ كان كل واحد منهما يرضع ثديين، وبقيا على تلك الحال يرضعان البقرة، وبدت على وجوههما مظاهر الصحة الجيدة، على عكس بنتها التي أفرطت في الاعتناء بها ورغم ذلك كانت نحيفة وشاحبة"[45]

الشجاعة :

هي" الإقدام على المكاره، والمهالك، عند الحاجة إلى ذلك، وثبات الجأش عند المخاوف، والاستهانة بالموت " [46]) وقال ابن حزم: "حد الشَّجَاعَة: بذل النفس للموت، عن الدين، والحريم، وعن الجار المضطهد، وعن المستجير المظلوم، وعن الهضيمة ظلمًا في المال، والعرض، وفي سائر سبل الحق، سواء قلَّ من يعارض أو كثر" [47]

يقول أرسطو :" :"إن الشجاع يتحمل الآلام لأنه من النبل أن يتصرف على هذا النحو ومن المخجل له أن يتنصل منها وذلك شأن الملاكم الذي يتحمل اللكمات على أمل الفوز بالتاج"[48]

لقد كانت الشجاعة مند الجاهلّة مفخرة للعربً وحلته التي يتجمل بها، فالشجاعة والقوة من الصفات التي نكتشفها في طفل "بقرة اليتامى "

من خلال تصرفاته وتصرفه مع الظروف الصعبة ومواجهته للحياة بمعزل عن الدعم الأسري فالشجاعة تمثلت في ثبات الطفلين عند الخطر وضبط النفس أثناء مواجهة كل محنة وذلك بالانتصار على الخوف واعتماد الجسارة والإقدام والتحلي بقوة الشكيمة ورباطة الجأش والصبر على وقوع الشر.

التسامح :

"التسامح ليس شيئا آخر غير أن يحاول المرء التعامل مع الآخر بروح سلمية، وأن لا يمنع أحد غيره من حقوقه الطبيعية، وأن يتولى المرء بكل لطف دحض الآراء الخاطئة التي تقال على منابر الوعظ والتي يكتبها القائمون على هذه المنابر، وأن يجتهد المرء بكل تواضع ويحتمل لتعليم غيره ما هو أفضل"[49]

التسامح هو "فضيلة الإمساك عن ممارسة المرء سلطته في التدخل بآراء الآخرين وأعمالهم، علما أن هذه الآراء والأعمال تختلف عن آراء الشخص المذكور وأعماله فيما يظنه مهما إلى حد أنه لا يوافق عليها أخلاقيا "[50]

وحكاية " بقرة اليتامى" صورة للتسامح فالبنت التي عانت الكثير من أختها والتي وصل بها الحقد غلى رميها في البئر وأخذ مكانتها غير أن البنت سامحت أختها في النهاية وهذا ما غير من سلوك الأخت الشريرة وندما على أفعالها.

وإلى جانب هذا رسمت لنا الحكاية صورة أخرى وان كانت خيالية غير أنها كان لها دور كبير في مسار الأحداث فلمسنا **علاقة الطفل بالحيوان** باعتبار أن قصة الحيوان لها" أثر كبير في تنمية مدارك الأطفال وتوسيع معارفهم ، إذا عرف الأدباء و الرواة كيف ينتقون الدال والمدلول في هذه القصص ،لأن الطفل يتأثر كثيرا وهو يتلقى حكاية من حكايات الحيوانات، والداعي إلى ذلك أنه ينظر إلى بطل القصة الحيوانية نظرة شفقة وعطف ورحمة، أو نظرة غضب وسخط و نقمة، فهو يتصرف معها حسبما تحتاجه من آثار أو ما تقدمه من بر وإحسان ،وعن طريق هذا الوعي ينمو فكر الطفل وتمتلئ مخيلته لينتقل شيئا فشيئا إلى عالم الواقع، وليدرك كلما تقدم في السن الفرق بين الخرافة والحقيقة، ولكن الحكي (بفتحالحاء وسكون الكاف) يظل عالقا بدهنه ،وقد يؤهله ليصير روائيا كبيرا أو شاعرا بارعا لأن القصور المبنية تبدأ بلبنة واحدة كما يقال ". [51]

وهذا ما يتجلى في حكاية بقرة اليتامى، تحت عنوان بقرة اليتامى ،دور الحيوان قديما " البقرة " في حياة الأسرة عامة والطفل خاصة والمدى التفاعلي والانفعالي الذي تمثله بالنسبة

للعائلة،إن المغزى من حكاية بقرة اليتامى وسبب اختيار الراوي لهذا الاسم كامن في الدور الذي قامت به البقرة، لقد قامت مقام الأم الحنون وكانت همزة وصل بين الطفلين ،فكانت البقرة بمثابة الأم تفعل كل ما بوسعها من أجل الطفلين،من أجل أن يكونا سعيدين وبصحة جيدة.حتى إن البقرة رفضت إعطاء الحليب لابنة زوجة الأب وحتى أساءت إليها

" ماتت الأم ، وبقي ولداها يعيشان ربيبين، لا يلقيان من زوجة أبيهما إلا الإهمال، فمن شدة الجوع والعطش كانا يرضعان البقرة التي تركتها لهما أمهما عندما يرعيانها، إذ كان كل واحد منهما يرضع ثديين، وبقيا على تلك الحال يرضعان البقرة، وبدت على وجوههما مظاهر الصحة الجيدة، على عكس بنتها التي أفرطت في الاعتناء بهاورغم ذلك كانت نحيفة وشاحبة . تنبهت زوجة أبيهما لذلك، واحتارت لأمر ربيبيها، وقامت باقتفاء أثرهما لمعرفة السر في ذلك، فوجدتهما يرضعان البقرة، بالتداول وأمرت ابنتها لتفعل هي أيضا، وفي الغد ذهبت الفتاة إلى المرعى مع أخويها، وعندما ذهبت إلى البقرة لترضعها، أحست البقرة بأنها غريبة، فصكتها على وجهها برجلها الخلفية إلى عينها فعورتها، وفي المساء عادت البنت إلى أمها عوراء، فقررت الزوجة على أن البقرة التي عورت ابنتها ستذبح . " [52] ، فالحكاية الخرافية هي أحد أنواع الأجناس الشعبية إذ " تجسد وتشرح المعتقدات والأفكار الراسخة في ذهن الإنسان وذلك بالاستعانة بالحيوانات كالطيور ...الخ .فإذا تأملنا في الحكاية الخرافية الجزائرية نجد أن الأسطورة تضفي لمسة سحرية لان الحكاية الخرافية زخرت بالعديد من العناصر الخرافية كالسحر و التحول والمسخ ....مثلا عند قراءتنا لقصة" بقرة اليتامى" بحيث كانت هنا كلمسة سحرية حينما تحول الطفل إلى غزال بعد أن شرب الماء من العين .إن الحيوانات لها صلة وطيدة بالحكاية الشعبية باعتبارها الركيزة الأساسية عند الإنسان وذلك منذ القدم حيث أصبح يطلق العنان لإبداعاته وذلك بالتعبير عن واقعه المعاش وباستبدال الإنسان بالحيوان عند تأليفه لقصة شعبية من وحي خياله وحتى اللمسة السحرية حينما "تحول الطفل لغزال بعد أن شرب الماء من العين .فالوظيفة التي تقوم عليها الحكاية الخرافية هي تجسيد الواقع الإنساني باللجوء إلى الحيوانات " [53]

وتعتبر **الطبيعة** الملجأ الثاني للطفولة بعد الحيوان فبعد فقدانهما البقرة وتشريدهما احتضنتهما الطبيعة حتى كبرا وتغيرت حياتهما

"وبينما هما كذلك شعرا بالعطش، فنظر الولدان فوجدا ساقية، من يشرب منها وهي تتقع رأسه يتحول إلى غزال، فشربت البنت وأخذت تسقي أخاها بكفها لكنه لم يرتوي، فأدخل رأسه ليشرب فتحول إلى غزال، ومن تلك اللحظة صار يرعى مع الغزلان ليعود إلى أخته وهي على الشجرة ليلا ومرت السنين وهما على هذه الحال..."(54)

ومنه نقول أن حكاية بقرة اليتامى صورت لنا الأبعاد المختلفة للطفل يمكن ان نلخصها كما يلي :

أ- **الصورة الاجتماعية للطفل اليتيم** : والذي يتمثل في علاقة الطفل بمحيطه الاجتماعي عامة والأسري خاصة وأن الطفل إذا فقد أسرته فقد السعادة والاستقرار وان في البعد عن الأهل و العيش في عزلة له آثار سلبية على تنشئة الطفل، فالأم هي العنصر الأول في تلقين الطفل السلوك الاجتماعي ، فهي التي تساعده على استيعاب أولى اختياراته عن النظام الاجتماعي وهي التي تزرع فيه نفسه أولى المخاوف والتطلعات كما تقدم له أولى المناسبات لاختيار شعوره بذاته وبالآخرين." (55)

فالصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفسية ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال إليه ، فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم وشقي وهلك وكان الوزر في رقبة القائم عليه والوالي له " فالأسرة هي أهم عنصر في تكوين الطفل يعيش بواسطتها ويقوى بدعمها. (56)

ب- **الصورة النفسية للطفل اليتيم :**

وهذا من خلال ما يعانيه اليتيم من حزن وحاجة الى الحنان الذي يعوضه فقدان احد الابوين وخاصة الام فلذلك تجب معاملة اليتيم معاملة طيبة، مرعاة لنفسيته، لأنه حين فقد أباه شعر بالحاجة إلى من يحميه، ويقوي عزيمته، فقد أصابه شيء من الذل والانكسار، وقد كان يجد في أبيه داعياً حانيا ملبياً لما يريد، فلما فقده وأحس بذهابه شعر بالوحشة فكان لا بد من تعويضه لئلا ينشأ مريضاً منطوياً منعزلا.

هوامش البحث :

1- مجلة العربي الكويتية ، العدد 116 ، ديسمبر 1972،ص53.

2-عبد السلام بشير الدويبي ،المدخل لرعاية الطفولة، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 1988م، ص11.

3-ابن منظور ، لسان العرب، الجزء الأول ، دار صادر ، 1968، ص9

4-الحملة العالمية لحقوق الانسان ، اتفاقية حقوق الطفل ، نيويورك ، الأمم المتحدة ، م1991، ص17.

5-اخرجه البخاري ، الادب المفرد، ح355.

6 – أحمد زلط ، أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي ، دار المعارف ، مصر ، 1994م ، ص30.

7- ملتقى أدب الطفل ، المركز الجامعي ، سوق أهراس ،ماي 2003 م ، ص 14 .

8 – محمد أديب الجاجي ، أدب الأطفال في المنظور الإسلامي دراسة وتقويم ، دار عمار للنشر والتوزيع عمان ،الأردن، ص 14، 15.

9- سعد الدين ، كاظم ، الحكاية الشعبية العراقية ،بغداد : دار الرشيد للنشر ، 1979 ، ص7.

10-عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، المؤسسة الوطنية للكتاب ,الجزائر, 1986، ،ص.118

11- بعلوشة إبراهيم محمد ، " بحث حول الفن الشعبي وأثره في التكوين النفسي للطفل ، وزارة الإعلام , الهيئة العامة للاستعلامات , مصر , ص 20 .

12-أحمد محمد عبد الرحيم ، دور الحكاية الشعبية في تنشئة الطفل ، المهرجان الثاني لفنون طفل الصعيدن 2001، ص388.

13- فوزي العنتيل ، عالم الحكايات الشعبية ، عالم الحكايات الشعبية، مكتبة الدراسات الشعبية ، هيئة قصور الثقافة ، 1999 ،ص.2

14 - عمر أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة ،المجلد الاول،عالم الكتاب ، 2008،ص40

15- حسن شحاتة ، أدب الطفل العربي، دراسات وبحوث ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ط1991،1م،ص7

16-عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، مرجع سابق، ص129.

17- ينظر،أحمد الشلبي ، التربية والتعليم فيالإسلام، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ، ط1،1987م، ص 292.

18- الحديدي علي ، في أدب الأطفال ، ط2 القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1976 ، ص180

19- الهيتي هادي نعمان، " ثقافة الأطفال " , سلسلة عالم المعرفة , المجلس الوطني للثقافة والفنون , الكويت , العدد (123) , (مارس 1988م) ، ص186 .
20 - عبد الرحمن عبد الخالق- مجلة الطفولة والتنمية- مرجع سابق – ص 186، 187
21- أحمد زلط- أنواع الحكايات القصصية فى الأدب العربى – الخطاب الأدبى والطفولة –هيئة قصور الثقافة- ص 2.
22- حسن شحاتة – حكايات طفل القرية رصد الواقع ورؤى الغد القادم – طفل القرية تحديات الواقع وآليات التغيير- مجموعة باحثين- القليوبية مايو 2014 ، ص55.
23- التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، د.ط، 1990،ص107.
24 - المرجع نفسه ،ص15.
25 – عبد الحميد بورايو ، البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري ، دراسات حول خطاب المروريات الشفوية ، الأداء ، الشكل ، الدلالة، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر د.ط، 1998م، ص21/20.
26- هبة ، مجدي وكامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في االلغة والأدب ، ط2 ، (بيروت : مكتبة لبنان، 1984) ، ص153 .
27- طاهر داخل ، قصص الأطفال في العراق ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، 2001 ، ص.85
28- عبدالحميد يونس، الحكاية الشعبية ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دط، القاهرة ،1968 ، ص20
29- العيد جلولي،حضور التراث في أدب الطفل الجزائري،مجلة الموقف الأدبي، العدد400،اتحاد الكتب العرب ،سوريا، 2004 م.
30- عبد ا لحميد يونس ،الحكاية الشعبية،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دط،القاهرة ،1968 ، ص25 .
31-صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير عند سيد قطب، الجزائر: دار الشهاب باتنة ، 1988م، ص7.
32-إسماعيل عبد الفتاح: أدب الأطفال في العالم المعاصر. : ص 60.
33-أبو شمالة ، أنيس عبد الرحمان ، أسلوب الرعاية في مؤسسات رعاية الأيتام وعلاقتها بالتوافق النفسي والاجتماعي، رسالة ماجيستير ، كلية التربية ، الجامعة الاسلامية ، غزة ، 2002، ص2.
34- الكردي، مها، التوافق والتكيف الشخصي والاجتماعي والجنائية لدى أطفال الملاجىء ، المجلة القومية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، العدد 2، المجلد 17، (1980)، ص119.
35-أبو دوف محمود،دراسات في الفكر التربوي الاسلامي ، ط1، 2006، ص، 162.
36-بقرة اليتامى، موروث شعبي.
37-التلي بن الشيخ ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،د.ط،1990، ص69.
38- ينظر، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله ،عدة الصابرين ، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، مجلد1، مجمع الفقه الاسلامي ، ط1، 1429، ص29.
39- ينظر، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الأخلاق الإسلامية وأسسها، ، الطبعة 3، 1413ه، دار القلم، دمشق ص50.
40- الشريف الرضا ، نهج البلاغة ، مؤسسة المعارف ،بيروت، الجزء3، د.ت ، ص160.
41 – عبد الدائم عبد الله ، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى اوائل القرن العشرين، دار الملايين بيروت، ط5، 1974ن ص.100

42- بقرة اليتامى، موروث شعبي.
43- ياسين النصير ، المساحة المختفية ، قراءات في الحكاية الشعبية، المركز الثقافي للعرب، ط1، 1995، ص14
44 – المرجع نفسه ،ص15
45- بقرة اليتامى، موروث شعبي.
46 – الجاحظ ،تهذيب الأخلاق ، دار الصحابة للتراث ،د.ط ، مصر، 1989 م ،ص 27.
47- ابن حزم ، الأخلاق والسير في مداواة النفوس ،ط2،دار الآفاق الجديدة ،بيروت ،1979م ،ص 80.
48- ماجد فضلي ، ارسطو ، دارصادر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 98، ص.121
49-ثائر عباس النصراوي،التسامح الديني في مدرسة النجف الأشرف، عن: (مجموعة باحثين): التسامح في الديانات السماوية، بيت الحكمة ، 2010 ، بغداد، ص116.
50- سيلفيا هورش ،الاسلام و التسامح، ترجمة: علي الشاويش، مجلة التسامح، العدد13، سلطنة عمان، 2006، ص290.
51-محمد مرتاض ، قضايا أدب الاطفال، ديوان المطبوعات الجامعية ، د.ط، 1994م، ص129.
52- بقرة اليتامى، موروث شعبي.
53-عبدالحميد يونس، الحكايةالشعبية ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دط ، القاهرة ،1968، ص53
54-بقرة اليتامى، موروث شعبي.
55- هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، ط3، بيروت ، الأهلية للنشر ، 1981، ص11.
56- عارف مفضي البرجس ، التوجيه الاسلامي للنشء في فلسفة الغزالي ، بيروت، دار الاندلس ، د.ت، ص80.